المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 11-02-2007 العـــدد : 12554
الصفحـات : 42 المسلسل : 338

صلح الحرَم بين فتح وحماس بيدٍ سايس بيكو الفكرية!

سعد بن مطر العتيبي

(فإذا أردتم أيها المسلمون النجاح والفلاح في دينكم ودنياكم ومعاشكم، فكونوا مؤمنين غير منافقين. واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وكونوا عباد الله إخواناً، وأدعوكم جميعاً إلى الإخلاص للدين أولاً، وإلى التآخي والتناصح والجمع بين القلوب ثانياً... نحن معشر المسلمين ضعفاء بأنفسنا، أقوياء بالإسلام.. فاتخذوا من اتحادكم قوّة). هذا النص جزء من خطبة الملك عبدالعزيز رحمه الله في وفود الحجيج في يوم النحر بمنى عام ١٣٥٩هـ الموافق ١٢-١-١٩٤١م يؤكد فيها أهمية التضامن الإسلامي.

ولمعرفة خلفية هذا الخطاب الحي وما سبقه وما لحقه من خطابات سابقة، ودعوات متكررة للتضامن الإسلامي انطلاقا من هذه البلاد المباركة - أوجز ذلك بقول أستاذنا أ.د.نبيل بن سعد الشاذلي - رعاه الله - إنَّه بعد: (قيام مصطفى كمال أتاتورك بإلغاء الخلافة الإسلامية التي كانت تركيا مقرّها (١٣٤٣هـ - =١٩٢٤م) اضطرب العالم الإسلامي، وتصاعدت من بعض أقطاره دعوات تنادي باستمرار الخلافة، ومبايعة خليفة جديد. وقُصدت جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله وفود كثيرة من بعض البلاد الإسلامية للتباحث معه في هذا الأمر، وأبدى بعض تلك الوفود أمله في مبايعة جلالة الملك عبدالعزيز خليفة للمسلمين؛ لأنَّه الوحيد (بين سائر ملوك وسلاطين وأمراء وحكّام المسلمين المؤهل لذلك، لتوفر الصفات الشرعية للخليفة فيه، ولكن جلالته اعتذر عن عدم قبول هذه البيعة؛ انطلاقا من نظرة موضوعية، أبداها لتلك الوفود.

ووسط هذا الجو الذي شغل المسلمين، وأثار قلقهم، دعا جلالة الملك عبدالعزيز إلى عقد مؤتمر إسلامي في مكة المكرمة، للبحث في شؤون المسلمين واقتراح سبل توحيد كلمتهم، والنظر في مختلف المشكلات الإسلامية... وبدأ المؤتمر جلساته يوم ٢٠ ذو القعدة ١٣٤٤هـ (مارس - آذار ١٩٢٦م)) (السياسة السعودية والتضامن العربي والإسلامي: ٥-٦). وقد وجه الملك عبدالعزيز - رحمه الله - كلمة جاءت فيها عبارات إسلامية مدعمة بنصوص شرعية منها قول الله عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣) الآية.

إنَّ من نعمة الله عز وجل على بلادنا، حيث تنزّل الوحي، وبُعث النبي صلى الله عليه وسلم، ومحور رحى الأمة في هذا العصر، أن هيأ الله لها وحدة، شرعية، إسلامية، لا شيوعية ولا علمانية ولا ليبرالية.

ولم تقف الرغبة في الوحدة عند حدود الإقليم، بل كانت طموحة الروح، مدركة لحجم الرسالة، مستشعرة عظم المهمّة، ممتلئة أملاً بالوحدة الأخوية الإسلامية، قيادة وشعباً، ولاةً ورعيّة، سيراً في ظلال ((ظل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد)) وكان هذا من أسس قيام هذه الدولة: المملكة العربية السعودية، وكان الهم قد نشأ مع نشأة وحدتها.

ولكنّ المتربصين بالأمّة لا يريدون التعايش بينها ولا معها تعايشاً إيجابياً؛ لأنَّهم يقرؤون الإسلام قراءات مغلوطة، ويستسقون من غير ظمأ منابع فكر أجنبي منحرف، يكتبه حقدة ما بين أفراد ومؤسسات، تُنظّر لصراع الحضارات! في عصر يسعى عقلاء العالم فيه لسلام أممي، يتبادل فيه المصالح، ويحفظ فيه كل ذي حق حقّه.. ولكنّ القوّة المادية المنفلتة، تولّد الصراع من القهر والظلم بالظلم ذاته!

إنَّ هؤلاء المفكرين من أصحاب المواقف العدائية للأمة الإسلامية، لا يسرّهم أن يروا الأمة الإسلامية تسير نحو وحدتها رغم الصعوبات، وترتضي الأخوة الإسلامية رغم كل الإشكالات، وتنبذ غيرها من الروابط ذات الشعارات المغريات؛ من هنا أوجدوا الخطط وأظهروا المكائد، وأعلنوا المؤامرة في تقارير أجنبية سبق الحديث عن بعضها مراراً.

وحيث لا يجد القارئ أو المشاهد الواعي، فضلاً عن المتابع المتخصص- عناءً في فهم دوافع الخوض المتكرر، في مسائل أصولية كليّة تتعلق بالإسلام عقيدة وشريعة.

ووصل الأمر ببعضهم إلى الجرأة حتى على العروبة! التي لا ينتصل منها بعد تنصله من ثوابت

المصـــــدر :	الجزيرة		
التـــاريخ :	11-02-2007	العـــدد :	12554
الصفحـات :	42	المسلسل :	338

دينه إلا من به لوث ظاهر، أو انتماء خارجي مستتر..

أريد أن أُذكّر الناسي، وأُنبّه المتغافل بما جرى هذه الليلة – ليلة الجمعة ٢١-١-١٤٢٨ ببكة – بجوار بيت الله الحرام، حيث يُعلن الصلح الذي تمّ بعد دعوة خادم الحرمين الشريفين – وفقه الله – لقومنا في قيادتي فتح وحماس، للاجتماع في رحاب الحرم المكي، سعياً في الصلح، وحقن الدّم الإسلامي والعربي. إنّ هذا الردّ عمليّ يكتم أنفاس دعاة سايس بيكو الفكرية، التي تمهد لمشروع الشرق الأوسط الكبير! ذاك الأمل الأجنبي الذي فشل قبل سن القطام، وربما دخل السرداب تائراً بفكر الحليف الجديد، فلا عجّل الله له فرجا!

لقد شعرت هذه الليلة بأننا نحن السعوديين ما زلنا محلّ ثقة أمتنا، بل وقياداتها من شتى المشارب، وكفى دليلا سرعة الاستجابة القولية التي أتت بعد نداء خادم الحرمين بدقائق على لسان الأستاذ – خالد مشعل، القائد الفلسطيني ذي الشعبية الإسلامية الواسعة، ثم تتابعت بعد ذلك لتصل الوفود الفتحاوية والحماسية، في مدة قياسية إلى بلادنا، وكانها كانت تنتظر هذا النداء على أحرّ من جمر..

استمعت إلى كلمات هؤلاء القادة في المجلس الملكي، وتأكيدهم لمكانة بلادنا وقيادتنا، في قيادة الأمة الإسلامية، ودعائهم الحارّ لخادم الحرمين الشريفين ولإخوانه، الذين وصف أثرهم في الصلح رئيس الوزراء الفلسطيني إسماعيل هنية بالجولات الأميرية أثناء الحوار..

وإنني إذ أشكر خادم الحرمين الشريفين – نصر الله به الإسلام وأهله– على هذا العمل الجليل الذي يستحق الشكر، فإنني أنبّه أولئك المتنادين بنبذ ثوابتنا الإسلامية، وأخلاقنا العربية الأصيلة، وواجباتنا تجاه أمتنا شعوبا وقضايا أنبّههم إلى أنّهم يجهلون علينا حين يظنون أنّ قيامنا بواجبنا تجاه أمتنا تدخل في شؤون الآخرين! إذ إنّه في الحقيقة واجب شرعي، ومبدأ دستوري.. وأحبّ أن أؤكّد لهم ذلك بعرض موادّ من النظام الأساسي لبلادنا – حفظ الله إيمانها وأمانها– موادّ يحق لكل عربي ومسلم أن يفخر بها؛ لأنّني أريد أن يتعلّموا شيئاً من معاني الوطنية الصادقة، وذلك بعد أن عرضت شيئاً من كلام مؤسس المملكة العربية السعودية الحديثة في آماله بوحدة المسلمين، وشعوره بثقل الأمانة في تحقيق ذلك وفق الممكن دولياً، مما يُبيّن الهمّ الإسلامي لنا، فهو ليس مجرد شرف، بل سبب بركة وبقاء.. وهو همّ لن يقطع إن شاء الله تعالى، ولذا دوّن ونصّ عليه في النظام الأساسيّ للحكم كما أشرت، وهو ما أردت ذكره هنا بياناً للحقيقة، وكشفاً لأجنبيي الفكر أصالة أو تبعاً، فأقول:

جاء في نص (المادة الأولى) من النظام الأساسي للحكم: (المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم). وهي مادة لا تحتمل التفسيرات الأجنبية لمبادئنا! فهي تؤكّد عروبتنا، كما تؤكّد إسلامنا، وهما وصفان يجب أن يكونا متلازمين تلازم الروح والجسد، إذ لا خير في شعار عروبة من غير إسلام!

وجاء في نص (المادة الخامسة والأربعون) من النظام ذاته، في باب الحقوق والوجبات، نعم الحقوق والواجبات: (تحرص الدولة على تحقيق آمال الأمة العربية والإسلامية في التضامن وتوحيد الكلمة.. وعلى تقوية علاقاتها بالدول الصديقة)؛ وهي مادة واضحة تحدد علاقتنا بالأنا والآخر بعبارات مستمدة من أصولنا الشرعية.

وأخيراً أختم بتأكيد الملك عبدالعزيز على هذه المسيرة، بقوله رحمه الله: (إنّ أبنائي سيعكفون بعدي على إكمال رسالتي، وإذا منحهم الله العون الذي منحني، فإنّهم سيرسمون الطريق لأكثر من مائة مليون مسلم) (دور المملكة العربية السعودية في خدمة الإسلام، د. عبد الحكيم عبدالسلام المدني: ٤٣٨).

هذا ما جال في الخاطر حول ما جرى من صلح سار هذه الليلة، بين قومنا في فلسطين، والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله.